الباب الرابع

الإسلام رسالة عالمية

أولا ـ مع المجتمع العربى

ثانيا ـ عالمية الاسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

- الكفاح فى تاريخ الشعب العربى
- أواصر القربى فى الشعب العربى
- الأمانى القومية
- واجب الشعب العربى فى حاضره
- نحو مجتمع عربى أفضل
- الوحدة ثمرة الفكر المشترك
- تمسكنا بالمبادىء يكفل انتصارنا

obeikandl.com

obeikandl.com

الكفاح فى تاريخ الشعب العربى

فرق الاستعمار بين أبناء الشعب العربى ، وجعلهم شعوباً وقبائل ، وجعل رقعتهم التى يعيشون فوقها أوطاناً مختلفة ، وجعل بين هذه الأوطان حدوداً وفواصل وأمعن فى الفصل بينها حتى كاد يصبح لكل مجموعة من أبناء العروبة هدف وأمانى وخطة لتنفيذ هذا الهدف وتلك الأمانى ، يغاير ما لدى المجموعة الأخرى من هدف وأمانى ، وكذلك ما لديها من خطة ووسيلة .

وحاول الاستعمار أن ينسى الشعب تاريخه الماضى حتى إذا ما نسيه استطاع أن يذله ، وسهل عليه أن يقوده إلى ما يريد . والاستعمار لا يريد من هذا الشعب العربى صاحب التاريخ المجيد إلا أن يقدم له ما عنده من ثروة بشرية واقتصادية ، وما له من موقع ممتاز على وجه الأرض قاطبة .

إن لهذه الرقعة التى يعيش عليها الشعب العربى أو ما يسميه الاستعمار — مجموعة الشعوب العربية — لها مكانتها فى تاريخ هذا الشعب وفى تاريخ الحضارة الإنسانية كلها .

فلمكة والمدينة منزلتهما فى الدعوة إلى الاسلام . فإن كانت الدعوة قد انبثقت من الأولى ، فقد شدت الثانية أزره وناصرته . والإسلام هو تلك الدعوة التى حولت نظر الناس إلى أن يكونوا أسياداً على أنفسهم وبينهم وبين بعضهم بعضاً . هو تلك الدعوة التى وجهتهم فى الخضوع والإذعان إلى قوة غير بشرية ، إلى قوة الخالق وحده سبحانه وتعالى . وبهذا كانت دعوة تحريرية من شهوة الإنسان على نفسه ، ومن سيطره إنسان على إنسان .

ولدمشق منزلتها فى استقرار نظام الإسلام لدولة تظل برعايتها ألواناً من الناس مختلفى الأصل والثقافة والعقيدة لها منزلتها فى إشهاد التاريخ البشرى على أن الإسلام

والعرب قد كان لها إمكانيات التوجيه السياسى وتطبيق المبادىء العليا فى نظام الحكم ما أتاح لكل فرد أن ينمى خصائصه ويتمتع بمجهوده الفردى فى صلات أخوية إنسانية مع غيره سواء فى العقيدة أو فى المنزع والمشرب .

ولبغداد منزلتها فى حفظ تراث الحضارة الإنسانية العلمية والفكرية كذلك وفى تنميتها مما كان له أثره الواضح فى تلك الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة . فأوربا حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى كانت لا تعرف عن ذلك التراث شيئاً . وبفضل بغداد على هذا التراث عرف الغرب حضارة العرب وحضارة الإنسانية القديمة ولم يخط هذا الغرب خطوة فى سبيل التقدم الحضارى والفكرى إلا بعد أن لقح ذهنه بذلك الفكر العربى، ولم يتم الإصلاح الدينى فى أوربا إلا بعد الوقوف على تعاليم الإسلام .

وللقاهرة منزلتها فى دفع أول غزو غربى استعمارى ، هو الغزو الصليبى لرقعة ما يسمى بالشرق الأدنى الآن ، وهى رقعة الشعب العربى . ولصلاح الدين الأيوبى مكانته التاريخية فى دفع هذا الغزو الذى تكرر غير مرة، وبذلك أنقذ الإنسانية من جهالة القرون الوسطى التى سادت أوربا ، وأنقذ الإنسانية مرة أخرى من سيطرة الوحشية البربرية الغازية على مقدسات الإنسانية فى هذه المنطقة .

ولفلسطين منزلتها الروحية فى نفوس المؤمنين جميعاً من البشر ، لها مكانتها فى تاريخ الإنسانية الفاضلة بما فيها من ذكريات الرسالة الإلهية .

وهكذا لكل بقعة فى أرض الشعب العربى أثره الفاصل ، أثره القوى على الإنسانية فى هدايتها إلى الحق ، وفى إرشادها إلى قيمة الفكر ، وفى تعريفها بتاريخ هذه الإنسانية نفسه .

هذا هو تاريخ الشعب العربى ، هو تاريخ شعب واحد ، يحمل مشعلا واحداً ، يحمل مشعل الهداية والفكر الإنسانى السليم، وله رسالة واحدة ، هى رسالة الأخوة بين بعضهم بعضاً ، ورسالة المودة بينهم وبين غيرهم . إذ طالما كان الشعب فى تاريخه

الماضى حاملا لمشعل الهداية الإلهية وللفكر الانسانى السليم — فلم تكن له رسالة إلا رسالة الاعتصام بالحق والدفاع عنه . والاعتصام والدفاع عنه لايتم إلا حيث كانت الأخوة الصافية والمودة الإنسانية قد تمكنت من نفوس المعتصمين المدافعين.

إن تاريخ الشعب العربى قد حدد شخصية هذا الشعب فأسند إليه رسالة هى رسالة النور والهداية ، وقد مجد دوره فى الكفاح من أجل هذه الرسالة . والغزوات فى جزيرة العرب ، والمعارك بعد هذه الغزوات فى أشهر مدن الشعب العربى من بغداد .. إلى طنجة : ترشد إلى قيمة هذا الكفاح وبطولة المكافحين .

إن رسالة النور والهداية هى رسالة الحرية الإنسانية ، هى رسالة تحرير الإنسان من الرق والسيطرة الفردية أو الجماعية . كان للعرب رسالة ، وكان كفاح . ولم تكن لهم رسالة ولم يستطيعوا أن يكونوا مكافحين إلا يوم أن اجتمعت كلمتهم بعد أن فرقتهم الشهوات : وتلك آية من آيات الله يتحدث بها إليهم : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » (١) .

هذا هو تاريخ القومية العربية ، وماضى العروبة هو دليلها فى حاضرها . ولذا لاتتخلى عن رسالتها ، ولا عن كفاحها . ونعتقد كما اعتقد الأسلاف من قبل أن هذه الرسالة لن تؤدى إلا بالتماسك ، وأنها لا تصمد فى الكفاح إلا بالوقوف فى صف واحد ليس فيه ثغرة . ولم تكون الثغرة ؟

١ — بلغتكم نزل القرآن الكريم .

٢ — وفى سبيل الدعوة إلى الإسلام تحملتم أعباءها وانتصرتم بصبركم فى الجهاد.

٣ — فعلاقاتكم هى علاقات : اللغة والدين ، والكفاح المشترك فى التاريخ من أجل الوجود ، والاشتراك فى الأمانى القومية ، والرحم والجوار ..

---

(١) آل عمران : ١٠٣ .

أواصر القربى فى الشعب العربى

نتناول فى هذا الحديث أواصر القربى فى الشعب العربى ؛ وهى أواصر متعددة، قوية . هى أواصر اللغة ، والدين ، والتاريخ المشترك فى الكفاح ، وصلة الرحم والجوار . وقد أراد الله لهذا الشعب العربى أن تكون علاقاته بين بعضه بعضاً متنوعة حتى لا تنفصم عراها تحت ضغط الأحداث وتيار الفتن والدسائس .

رابطة اللغة :

١ — بينكم رابطة اللغة ، وهى لغة القرآن الكريم الذى نزل به الروح الأمين على خاتم الأنبياء ﷺ : « تنزيل من الرحمن الرحيم . كتابٌ فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون[1] » .. « فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً[2] » .. فهى لغتكم فى الخطاب والتفاهم ، ولغتكم فى دينكم وعقيدتكم ، ولغتكم كتب بها تاريخكم . وهو تاريخ أمة واحدة وشعب واحد ، له خصائص متفقة فى الحياة والأمانى .

ورابطة اللغة رابطة طبيعية غير مصطنعة . وهى مرآتكم ترون فيها ماضيكم وحاضركم ، وتسجلون بها مستقبلكم لأجيالكم القادمة . هى أكثر من ألفاظ وعبارات . هى التعبير عن حياتكم وما قمتم أو تقومون به فيها إزاء أحداثكم الخاصة أو تلك الأحداث التى تواجهونها .

حاول المستعمر إضعاف هذه الرابطة وإخراجها عن أن تكون وسيلة لجمعكم وأداة لتكتلكم واتحادكم . فدعا إلى لهجاتكم الخاصة ، ومنها العامية ، لتكون لغات مستقلة تحل محل اللغة الفصحى التى هى لغة القرآن ، والتى هى الرابط العام بينكم . دعا إلى أن يدون بلهجاتكم وعاميتكم تاريخ كل فريق منكم ، وبذلك تصبحون

---

(١) فصلت : ٢ ، ٣ . (٢) مريم : ٩٧ .

شعوباً متعددة لاشعباً واحداً ، وتبعدون قليلا أو كثيراً عن انه قرآنكم وعن فهم كتاب الله المنزل الذى هو مصدر هدايتكم ونعمة الله عليكم .

رابطة الدين :

٢ — بينكم رابطة الدين ، وهو الإسلام ، دين الفطرة الإنسانية : « فَأَقِم وجْهكَ للدِين حَنيفاً ، فطرة الله التى فَطرَ النَّاس عَليها ، لاتَبديل لخلق الله . ذَلك الدين القيم ، وَلـكن أ كثرَ الناس لا يعلمون [١] » .

بهذا الدين جمع الله شملكم وآخى بينكم ، بعد أن وجهكم إلى عبادة الله وحده : « إنَّ هَذهِ أُمتكُم أمةً واحدَة ، وَأنا رَبُّـكم فاعبُدون [٢] » .. ولـكن مع ذلك لايدع الله عباده دون أن يختبرهم فى إيمانهم ليعلم الصادقين منهم والـكاذبين فى إيمانهم والعابثين فيه : « أَحَسِبَ النَّاس أنْ يُـتركُـوا أنْ يَقولوا آمنا وَهُم لا يُفتَنون . وَلقد فتنا الذين مِنْ قَبلِهم ، فَليعلمن الله الذين صَدَقوا وَليعلمن الـكاذبين [٣] » .

واختبار الله لعباده ليس فى وقت دون وقت ، وليس فى صورة واحدة غير متنوعة . ومما ابتلى الله به المسلمين فى هذه المنطقة حديث المستعمر عن مذاهبهم وأنها مذاهب لاتلتقى ، واتخذ من تعداد مذاهب الشيعة والسنة ، ومذاهب الفقهاء والمتصوفة والوهابية . . ، سبباً للفرقة والإيقاع بينهم ، ليوهن من وحدتهم ، وليحول دون اتحادهم فى الاتجاه والغاية ، ولـكن الله يقول : « وَلا تَكـُونوا كالذين تَفرقوا وَاختلَفوا مِنْ بَعد ماجَاءهم البينَات [٤] » . . ويقول : « ياأَيُّها الذين آمنُوا أطيعُوا الله وَأطيعُوا الرَّسُول وَأولى الأمْر مِنـكم ، فإنْ تَنازعتم فى شَىء فردُوه إلى الله وَالرسُول ، إنْ كنتم تؤمنون بالله وَاليوم الآخر ، ذَلك خَير وأحسَن تأويلا [٥] » .

---

(١) الروم : ٣٠ . (٢) الأنبياء : ٩٢ .
(٣) العنكبوت : ٢ ، ٣ . (٤) آل عمران : ١٠٥ .
(٥) الأحزاب : ٦ .

فالإسلام قد نهى عن الفرقة ، والاختلاف الذى يهدد الوحدة ، ويجعل المسلمين طوائف تقاتل بعضها بعضاً . وأوضح من جانب آخر طريق صون وحدتكم إذا اختلفتم فى فهم ما أنزل الله ، وهو الرجوع إلى كتاب الله ، وإلى مايؤثر عن رسول الله ﷺ من قول صحيح وعمل ثابت .

فرابطة الدين بينكم ، وهى مرآة حياتكم ، زادت فى تعارفكم وفى لقائكم وفى دفع محاولات أعدائكم للنيل منكم .

رابطة الرحم والجوار:

٣ — بينكم صلة الرحم والجوار وهى صلة تدعو إلى رعاية المصلحة المشتركة وإلى التعاون فى دفع الضرر والأذى . يقول الله سبحانه وتعالى : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا[1] » . . ويقول « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، وبذى القربى واليتامى ، والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم ، إن الله لايحب من كان مختالا فخوراً »[2] .

هذه الصلة بدورها يحاول المستعمر أن يمزقها . يحاول أن يجعل من الحكام فى منطقة الشعب العربى نفوذاً ، كما يحاول أن يجعل بين المسيحية والإسلام هنا حواجز العداوة والبغضاء .

علينا أن نعود بهذه الروابط إلى طبيعتها . علينا أن ندرك أن تاريخ العروبة هو تاريخ الشعب العربى بأسره لا تاريخ ذلك النفر من الساسة الذين تعاونوا مع الاستعمار على إذلال هذا الشعب فى كرامته وفى حياته .

---

(١) الأحزاب : ٦ . (٢) النساء : ٣٦ .

أما أعوان الاستعمار اليوم فقد ابتلى الله المسلمين بأمثالهم عند قيام الإسلام . ولكن المسلمين لما صبروا فى كفاحهم كان النصر حليفهم . يقول الله جل شأنه : «لقد ابتغوا الفتنة مِنْ قَبل ، وقَلّبُوا لكَ الأمور حتى جاء الحق ، وظَهر أمر الله وهُم كارِهُون (١) » .

وقد وضع الإسلام مبدأ لتفويت التآمر على المسلمين وإثارة فتنة الفرقة بينهم عن طريق نفر من بينهم ، وعبر عن ذلك المبدأ بقول القرآن الكريم : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذُوا بطانة مِن دُونكم، لايألونكم خبالًا ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء مِنْ أفواهِهم وما تخفى صدورهم ، أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون(٢) » .

إن ما صلح به أول الأمر يصلح به آخره : إيمان وكفاح فى تماسك ، وصبر فنصر : « ولَينصرنّ الله من ينصره (٣) » .

---

(١) التوبة : ٤٨ . (٢) آل عمران : ١١٨ .
(٣) الحج : ٤٠ .

الأمانى القومية

حديثنا اليوم يتناول الأمانى القومية ، بين مجموعة الشعوب العربية التى لها تاريخ واضح فى الحضارة والمعرفة ، وفى القيادة والسيادة ، هذه الشعوب التى تآمر عليها الاستعمار الغربى وقسمها إلى وحدات ومناطق وأضعفها من بعد قوة ، وأذلها من بعد سيادة ، واستغل إمكانياتها البشرية ، وثروتها الأرضية . ولم يزل يضعفها ، ولم يزل يفرق بينها . ولم يزل يستغلها .

إن لهذه الشعوب العربية أمانى مشتركة وأهدافا فى حياتها موحدة : إنها تريد أن تعيش سيدة نفسها ، لا مستذلة ولا مستضعفة . إنها تريد أن تحتفظ بشخصيتها ، لا تماع فى شخصية غيرها أيا كان هذا الغير . إنها تريد أن تستقل عن نفوذ الأجنبى عنها والدخيل عليها ، لا أن يستقل بعضها عن بعض فى الاتجاه ، ولا أن يصير استقلالها حواجز لبعض المناطق عن بعض . إنها تريد أن تعود إلى مكانتها فى التاريخ يوم كانت تحمل لواء الحضارة الإنسانية ، وتدافع عن المثل الرفيعة فى تثبت وإصرار لا تضعف فى الدفاع عنها ، ولا تدعو إلى المساومة عليها ، ولا تحزن بشىء من خيبة الأمل فى بعض مراحل الكفاح فى سبيلها : « فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ[1] » .. « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[2] » .

تريدون أيها المسلمون هنا فى هذه الديار أن تكونوا أحراراً فى حياتكم كما أمرتم من دينكم أن تبقوا أحراراً من تسلط غيركم عليكم ، يقول الله جل شأنه : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ[3] » .

---

(١) القتال : ٢٥ . (٢) آل عمران : ١٣٩ .
(٣) آل عمران : ١١٠ .

وبمقتضى كونكم خير أمة لها رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أنكم لا تصيرون أتباعاً لمن دونكم ولا مغلوبين على أمركم فى حياتكم ، لأنكم لا تكونوا عندئذ خير أمة أو لا تملكون مقومات الأمة صاحبة السيادة على نفسها ، فضلا عن أن تكونوا أصحاب رسالة فى التوجيه . لأن من لا يسود نفسه لا يوجه غيره .

عرف عدوكم هذا فى دينكم ، وعرف قوة صلتكم بهذا الدين لا تزحزحكم عنه ثقافته التى يدعو لها ، ولا يضعفه فى نفوسكم حربه التى يقوم بها ضد اقتصادكم . عرف هذا وذاك فآثر أن يلجأ إلى الدسائس بينكم . كما اعتمد عليها من قبل فى استعمار دياركم طول هذه السنين ، وكما اعتمد عليها فى استغلال موارد بلادكم لصالح نفسه وإضعاف مقاومتكم له : يثير الفرقة القبلية والشعوبية فيكم بعد أن كان فضل الإسلام عليكم هو أن جمعكم على هدف واحد وعلى أساس واحد : « وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم[1] » .. ولم يؤلف سبحانه بينكم على أساس من القوة المادية تضعف بعد حين ، ولا على أساس من تبادل المنافع ينتهى عرضها بانتهاء وقتها أو قيمها ، ولا على أساس من علاقات القرابة فى الأسرة أو القبيلة أو الجنس البشرى تنتهى بتفرع الأسرة إلى أسر ، وتكثر القبيلة إلى فصائل ، واتساع نطاق الجنس إلى جماعات تتباعد فيما بينها حتى تنكر كل جماعة صلتها بالأخرى . ولكن ألف بينكم فى سبيل الله ، فى سبيل الحق ، فى سبيل المثل الرفيعة وخير الإنسانية حتى إذا أشربت قلوبكم حب الإيمان بالله وبالحق صرتم قوة فى كثرة بعد ضعف فى قلة ، وأصحاب سيادة وعزة بعد خوف واستضعاف لغيركم : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون[2] » .

وكما يحاول عدوكم ، وهو الاستعمار ، أن يفرق بينكم بإثارة روح القبلية

---

(١) الأنفال : ٦٣ . (٢) الأنفال : ٢٦ .

والشعوبية فيكم ، يعتمد على نفر من ضعفاء النفوس منكم ليعوقوكم بوسيلة أو بأخرى عن أن تجيبوا داعى المصلحة وتلبوا نداء الحق جل شأنه الذى وعدكم بالنصر إن نصرتم رسالته ، وهى رسالة الخير لكم وللإنسانية فيقول : « يَأَيُّها الذين آمَنُوا إنْ تَنصروا اللهَ يَنصركم وَيثبت أَقدامكم[١] » .. أو يتراخى عن العمل معكم والاستجابة لروحكم العامة . وقد مرت أمتكم بهذين الصنفين من الناس ، المعوقين والمتراخين وابتليت بهما كما تبتلون بهم اليوم وغداً . والقرآن الكريم يقص علينا أمر هذين الصنفين ، يقول سبحانه وتعالى : « قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المعوِّقين مِنكُم وَالقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينَا وَلاَ يَأتون البَأس إلا قَليلا . أشحة عَليكم فإذا جاء الخوف رَأيتهم يَنظرُون إليكَ تَدُور أعينهم كالذِى يَغشى عَليه مِن الموْت فإذا ذَهبَ الخوف سَلقوكم بألسنةٍ حِدادٍ أشحةً عَلى الخير ، أولئك لم يؤمنوا فأحبطَ اللهُ أعمالهم ، وكانَ ذَلكَ عَلى اللهِ يَسيراً[٢] » .

ويقول الله أيضاً : « وإنَّ مِنكم لمن لَيبطِئنَّ ، فإن أصَابتكم مُصيبة قال: قَدْ أنعمَ اللهُ عَلىَّ ، إذْ لم أكنْ مَعهم شَهيداً . ولئن أصَابكم فَضلٌ مِنَ اللهِ ليقولنَّ كأن لم تَكنْ بَينكمُ وَبينَه مودة : يَاليتنى كنتُ مَعهم فأفوزَ فوزاً عَظيماً[٣] » .

ولكن أمتكم فيما مضى قضت على التخاذل والتخذيل بشىء واحد : الإيمان بالحق . ويقول الله فى خاتمة أمرها :

« وَالذِينَ إذا أَصابهم البغىُ هُم يَنتَصرون[٤] » .. كما يقول فى عاقبة أولئكم المتخاذلين فيها عن أن يكونوا فى صف المكافحين . إن دعاهم الحق إلى الكفاح : « وَيَقُول الذِينَ آمَنُوا لَولا نُزلت سُورة ، فإذَا أُنزلت سُورة مُحكمة وَذُكِر فيها القتال رَأيتَ الذِينَ فى قلوبهم مَرض يَنظُرُونَ إليكَ نظرَ المغشى عَليه

---

(١) القتال : ٧ . (٢) الاحزاب : ١٨ ، ١٩ .
(٣) النساء : ٧٢ ، ٧٣ . (٤) الشورى : ٢٩ .

obeikandi.com

مِنَ الموتِ فأولى لهم . طاعة وَقول مَعرُوف فإذا عَزَم الأمر فلو صَدَقُوا الله لكانَ خيراً لهم . فَهَل عَسَيتم إنْ توليتُم أنْ تُفسِدوا في الأرض وتُقَطِّعُوا أرحَامكم . أولئك الذين لعنَهُم الله فأصمهم وأعمى أبصَارهم[١] » .

أيها المسلمون فى مناطق هـذا الشعب العربى ، كونوا كما كان أسلافكم ، آمنوا بما آمنوا به من حق ، وكافحوا كما كافحوا فى سبيله . واعلموا أنكم مبتلون فى لقائكم بالمثبطين المتقاعسين ، وبشيء من الخوف ونقص الأموال ، ولـكن العاقبة لـكم إن صبرتم كما كانت العاقبة لهم عند صبرهم .

إن وعيكم القوى الآن هو قوتكم ، وهو سلاحكم ضد عدوكم . إيمانـكم بأنفسكم وبحقكم فى الحياة وترابطكم هو الأمر الذى يقف دون استغلالكم واستذلالكم.

« يَأيها الذين آمنُوا لا تتخِذُوا عَدُوى وَعَدُوكم أوْلياء تلقون إليهم بالمودّة وَقد كفرُوا بما جَاءَكم مِنْ الحق[٢] ».

---

(١) القتال : ٢٠ — ٢٣ . (٢) اول الممتحنة .

واجب الشعب العربى فى حاضره

أيها المسلمون فى هذه الديار العربية :

لأول مرة فى تاريخ صراعكم مع الاستعمار فى وطنكم تثبتون فى وجه عدوانه بل ويرجح جانبكم فى مقاومته . وقد كنتم معه من قبل مغلوبين على أمركم إن حاولتم أن تكافحوا سلطانه السياسى ، أو تقفوا فى وجه نشاطه الاقتصادى أو تبتعدوا عن توجيهه الثقافى .

تعلنون اليوم باسم القومية العربية تحديكم لأساليبه البغيضة ، تعلنون إيمانكم بأنفسكم وبحياتكم وبحقكم فى السيادة على دياركم فى مواجهته ومواجهة أعوانه ، وقد كنتم لا تستطيعون إلا أن تتحدثوا عن رغبات وأمانى ، وفى لحظة دون لحظات وفى صوت خافت لا تسمعه إلا قلوبكم الحزينة التى لا تملك يومئذ إلا أن ترغب وتتمنى فقط . ولكنها الآن قد عمرت بالإيمان ، وتحرك إيمانها إلى يقظة وعمل ، إلى استمرار فى اليقظة وصبر فى العمل .

نعم يقظتكم مستمرة وعملكم فى صبر وجلد . ولكن عدوكم لم يخفت صوته بعد ، ولم ييأس للآن من مقابلتكم ، ومقاومة يقظتكم ، وإضعاف صبركم فى العمل ضده . إن يومكم هذا هو نقطة التحول فى تاريخكم الحديث : من ذل واستعباد إلى تحرر وسيادة .

١ — إن ثباتكم فى لقائه هو طريق نجاحكم ، هو الوسيلة إلى ظفركم بما تكافحون من أجله سنوات طويلة . يقول الله جل شأنه : « يَأَيها الذين آمنُوا إذَا لقيتم فئة فَاثبتُوا ، واذكُروا الله كَثِيراً لعلكم تفلِحُون[1] » . أى إذا اشتبكتم

---

(١) الأنفال : ٤٥ .

obeikandl.com

مع أعدائكم فى لقاء فاثبتوا فى لقائكم فى مواطن الكفاح . واذكروا الله كثيراً أثناء كفاحكم معه مستمدين منه سبحانه وتعالى العون ، مستظهرين بذكره ، مترقبين لنصره لعلكم تفوزون وتظفرون بمرادكم من النصر فى الدنيا والمثوبة من الله فى الآخرة .

فالثبات ، مقروناً بذكر الله لانتخاف عنه نتائجه من النصر والسيادة : الثبات فى المعركة ، الثبات فى احتمال الألم ، الثبات فى ضبط النفس ، الثبات فى ردّ النوازع الثبات فى ردّ الإغراء ، الثبات فى هذا كله لا يكون إلا ممن حرص على مصلحة جماعته وأمته ، لا يكون إلا ممن يكافح من أجل مبدأ ، وفى سبيل مصلحة عليا ، وعلى ذكر من هذه المصلحة العليا التى تنتهى إلى الله جل شأنه .

٢ — الله سبحانه إذ يأمر المؤمنين بالثبات فى كفاح عدوهم على هذا النحو ينهاهم كذلك عن إتيان بعضهم لعمل لا تكون أضراره وقفاً على من يباشر هذا العمل بل تعم الأمة كلها ، مثل التراخى فى الكفاح ، وافتراق الكلمة ، والتآمر على مستقبل الأمة ، وموالاة الأعداء ، ونحو ذلك مما أطلق عليه سبحانه : « فتنة » ، وسمى القائمين به ظالمين ، مع أنهم من بين المؤمنين : يقول جلّ شأنه : « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أنّ الله شديد العقاب[1] » . فهنا تبارك اسمه كيف ضاعف النهى عما يصيب الأمة فى مجموعها من ضرر ، وكيف حذر فى صورة تؤكد غضب الله على من يقوم بذلك من أبناء الأمة . فسبحانه لم يقف عند حد التعبير عن هذا العمل بالفتنة ، ولا عند حد وصف القائمين به بالظلم بل أعقب هذا وذاك بقوله : — ولا راد لما يقول — : « واعلموا أن الله شديد العقاب » .

٣ — ثم جمع ما أمر به من الثبات هناك ، وما نهى عنه هنا من القيام بما

---

(١) الانفال : ٢٥ .

يعود على الأمة من ضرر — مرة أخرى فى قوله : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين[1] » .

فإن من لوازم طاعة الله وما أوحى به لرسوله ﷺ أن لا يكون هناك استسلام فى مقاومة عدو ، كما أن من نتائج الوحدة وعدم الفرقة الصلابة فى المقاومة ومن نتائج الصبر الظفر بالمطلوب . وإن الله مع الصابرين فى توصيلهم إلى أهدافهم ومعاونتهم على ماصبروا فى سبيله .

أيها المسلمون فى هذه الديار العربية ..

يومكم اليوم هو اليوم الفاصل فى مستقبلكم ، وسلاحكم هو ثباتكم وعدم فرقتكم ، وذكر الله جل شأنه فى كل خطوة من خطوات كفاحكم بتذكركم رسالته وهى رسالة العزم والتوكل ..

---

(١) الأنفال : ٤٦ .

نحو مجتمع عربي أفضل

يقول الله جل شأنه :

« إنّ الله لايغير مَا بِقوم حَتى يُغـيرُوا مَـا بِأنفـسِهم[1] » . فلا تتغـير حالة الإنسان من ضعف إلى قوة ، ولا من قوة إلى ضعف إلا إذا تغيرت نفسه تغيراً يمده للحال التى هو عليها . فمن أحب العزة ، ومال إلى الرفعة ، وسلك الطريق إلى أن يكون عزيزاً رفيعاً فإنه سيكون له حال العزيز الرفيع . ومن رضى رضاء نفسياً بالمهانة وخضع إلى الاستسلام والتبعية ، فإنه سيكون له حال المهان المستسلم فى غير حرج .

تكوين النفوس تكوينا صالحا :

والجماعة التى تريد أن تكون ذات سيادة على نفسها ، وكريمة على غيرها ، وسعت إلى السيادة والكرامة ، فإنها تكون يوماً ما سيدة نفسها وكريمة على غيرها . وبالعكس : الجماعة التى تطمئن نفسياً إلى الدنية ، وإلى التبعية لغيرها ، فستبقى ذات دنية وتابعة .

ونصرة الله فى الإيمان به والعمل برسالته . والإيمان بالله لا يكون فى حال دون حال ، بل لا يكون الحديث عن إيمان إنسان أو جماعة بالله ، إلا إذا بدا هذا الإيمان وقوة الإنسان أو الجماعة على حال لا يقل عنه فى وقت الضعف لها . والإيمان بالله إنما يبدو فى العمل برسالته . ومظهر العمل بهذه الرسالة توجه إلى الله فى خشوع ، واستقامة فى السلوك ، كما هو المرجو من الصلاة . ورعاية المحتاج ومعاونة له ، كما هو أثر الزكاة . ونصح للآخرين بالمعروف ، ونهى لهم عن الفحشاء

---

(١) الرعد : ١١ .

المنكر ، لا بالقول فحسب ، وإنما قبل ذلك بالعمل على اتباع المعروف وتجنب المنكر .

إن طريق الإيمان بالله والعمل برسالته هو طريق تعريف الإنسان نفسه بين أفراد جماعته ، ورسم لموقفه من جماعته . إنه طريق الحدّ من الأنانية ، والقيام بعمل الخير العام . ومن الخير العام أن يحرص على مايدعو إليه تماسك الجماعة ويزيد فى قوته ووضعها .

فلا يغير الله حال إنسان أو جماعة إلى حال آخر إلا بعد أن تتغير نفس الإنسان وتتغير نفوس هذه الجماعة أولا وتستعد استعداداً نفسياً يلائم الحال الآخر ، ويدعو إليه .

والطريق الذى رسمه الإسلام لجماعة تريد أن تكون ذات سيادة وعزة ومنعة ، وأن يكون أفرادها أقوياء أعزاء ، أقوياء النفوس ، أقوياء الشعور بالكرامه ، ليس هو الطريق الذى يرسمه الغرب المستعمر فى السلوك فى الحياة ، ولا الطريق الذى يحدده الشرق فى فهمه للوجود والإنسانية . إنه الطريق الذى يضمن نصر الله لمن سلكه واتبعه ، إنه الطريق الذى عبر عنه القرآن الكريم بقوله : « ولينصرنّ الله من ينصره ، إنّ الله لقوىّ عزيز . الذين إنْ مكنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور[1] » .

ونصر الله هو العمل برسالته . والعمل برسالة الله أن يكون الإنسان فى صلته بالله حال سيادته وقوته على نحو صلته به حال ضعفه : توجه إلى الله فى خشوع ، واستقامة فى السلوك ، ورعاية للمحتاج ، ونصح للآخرين بالمعروف ، بعد أن يكون

---

(١) الحج : ٤٠ ، ٤١ .

هو قد ابتعد عن الفحشاء والمنكر . إنه طريق الحد من الأنانية والقيام بعمل الخير في جماعته . ومن الخير في جماعته أن يقوم بما يدعو إليه تماسك الجماعة وصيانتها من الضعف أي ضعف .

الخشية من الله اول مراحل التكوين :

إن الإسلام يريد إذن للجماعة أن تسود ، وتبقى محتفظة بسيادتها ، وأن يكون أفرادها أصحاب بناء ، وأصحاب عمل إيجابي لخير أنفسهم كأفراد ولخير جماعتهم التي ينتسبون إليها . وأساس هذا العمل الإيجابي أن يخشى الإنسان الله فيما يعمل ، وأن يعاون غيره فيما يحتاج فيه إلى معاونة .

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« **ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه** » : فهو لا ينصح بالعمل — إذ طالب العمل أمر مفروغ منه — وإنما ينصح بإتقانه : وإتقان العمل في أن يخشى الله ويرقبه فيما يعمل ، ولو كان العمل صدقة ومنحة .

فإذا اعترضتكم صعاب في طريق سيادتكم . بعد أن سلكتم إلى هذه السيادة طريقها المرسوم فلا تهن عزائمكم ، ولا يتطرق اليأس إلى نفوسكم . لأن الصعاب في طريق الإنسان والجماعة قانون في الحياة لا يتخلف ، وأن ما يصيبكم قد أصاب أسلافكم . وثقوا أن نصر الله قريب : بالصبر في مقاومة هذه الصعاب إن استعنتم بقول الله جل شأنه :

« وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ[1] » .

ثم لا تكون النتائج بدون مقدمات ، ولا تكون الحسنة منها إلا بعد الابتلاء بها والتغلب عليها ، فيقول الله تعالى :

---

(١) آل عمران : ١٣٩ ، ١٤٠ .

« أم حسبتم أن تدخلو الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب[1] » .

فإن أردتم مجتمعاً إنسانياً أفضل فى دياركم ووطنكم ذا : طريقه لا هو شرقى ، ولا غربى .. هو إسلامى رسمه الله فى رسالة السماء إلى البشر جميعاً . وإذا صادفتم العقبات فلا تيئسكم من رحمة الله أو نصره ، لأن وجود العقبات فى طريقكم ليس خاصاً بكم ، بل هو من طبيعة الحياة وسنة الكفاح فيها .

(١) البقرة : ٢١٤ .

obeikandl.com

الوحدة ثمرة الفكر المشترك

الفكر اقوى رابطة بين الانسان والانسان :

الإنسان مع الإنسان ، كأى شىء مع شىء آخر ، أمران مستقلان ، قد يكونان متنافرين ، إذا اقترب فى المكان أحدهما من الآخر ، أو كان أحدهما فى جوار الآخر . وقد يكونان متآخيين إذا التقيا ، وقد تبقى الأخوة بينهما أيضاً بعد أن يفترقا .

تكون بين الإنسان والإنسان نفرة ، لا لأن أحدهما يفترق عن الآخر فى اللون ، أو فى السن ، أو فى الطول والعرض ، وما شابه ذلك من صفات الجسم . ولكن تكون هناك النفرة بين إنسان وإنسان إذا لم يلتقيا فى التفكير ويشتركا فى الفكرة ، ويجتمعا على الهدف . إذ الإنسان إنسان بفكره ، لا بجسمه .

ويجتمع إنسان مع إنسان ، لا بالاتفاق فى تاريخ الميلاد وعوارض البدن ، بل بالاتفاق فى خطوط التفكير العامة ، وفى النظرة الإجمالية للحياة .

وشأن الجماعة مع الجماعة ، لايختلف فى أسباب النفرة أو الالتقاء عن شأن الإنسان مع الانسان الآخر ، فى حال تجانسهما أو تنافرهما : تلتقى جماعة بجماعة وتتآخى معها ، وقد تزول الفوارق بينهما فيكون الأمر أمر اتحاد أو وحدة بينهما — إذا اشتركت إحداهما مع الأخرى فى فهم الحياة ، وفى تحديد الهدف منها ، وفى الطريق الذى يرسم لبلوغ هذا الهدف وتحصيله .

القرآن اقوى دعائم الفكر :

والقرآن الكريم يذكر « المؤمنين » على أنهم أمة واحدة لا لأنهم ينتسبون إلى قبيلة واحدة ، ولا لأن ألوانهم وأجسامهم متشابهة ومتقاربة ، ولكن لأنهم يشتركون فى تفكير واحد ، يشتركون فى نظرة واحدة إلى الحياة ، وفى مقياس واحد يقيمون به أمورها ، وفى هدف واحد يبغون جميعاً الوصول إليه ، وكأنهم فى

سعيهم إلى هذا الهدف يسعون إليه وهم فى صف واحد ، وفى خطوات متساوية ليس فيهم متقدم ولا متأخر ، ولا جانح إلى اليمين وآخر إلى اليسار . يقول الله تعالى فى أول سورة البقرة : « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون[1] » .. فجعلهم جماعة ، وخاطبهم بخطاب الجمع ، لأنهم اجتمعوا على الإيمان بقدر مشترك ، وربطوا تفكيرهم بتنفيذ هذا الإيمان .

وإذن عندما تقترب الفكرة من الفكرة يكون الالتقاء بين الناس أفراداً أو جماعات . وعندما يصير الاشتراك فى الرأى ، والتقدير ، والهدف والأمل إلى وحدة فيهما ، تكون الأخوة بين الإنسان والإنسان على أتمها ، وتكون المجموعة من الناس جماعة واحدة ، وأمة واحدة ، وشعباً واحداً . وإذن أشد الروابط وأقواها الاشتراك فى التفكير ، والاشتراك فى الاتجاه فى الحياة .

وإذن طالما كان الاشتراك فى التفكير والأمانى عاملا فى قيام الجماعة والتماسك بين أفرادها — يميل عدو الجماعة المتحدة المتآخية إلى تشتيت التفكير فيها وتوزيع اتجاهها إلى مناحى متعددة ، فيثير العصبية الشعوبية مرة إن كان فى الجماعة تعدد فى القبيلة أو الجنس ، ويثير الافتراق فى اللهجة مرة أخرى إن وجد هناك اختلافا ملحوظاً فيها ، أو يعمد إلى الضغط على اقتصادياتها أو إلى إيذاء أسماع أفرادها بنابى اللفظ والقول المختلق ، إلى غير ذلك من الأسباب التى من شأنها أن تجعل الأفراد يميلون بالتفكير إلى شأنهم الخاص بدل الحرص على بقاء تفكيرهم فى الدائرة المشتركة وبذلك تضعف الجماعة أو تتلاشى .

وقد تحدث القرآن هنا فى قوله تعالى : « لتبلوُن فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعُن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً ، وإنْ

(١) أول البقرة .

تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور[1]» .. فذكر أن الجماعة التي قامت على الاشتراك في التفكير، وتآخي أفرادها على وحدة الفهم للحياة الإنسانية لابد أن تبتلى من عدوها بعوامل الفرقة العديدة، ولكن نجاتها من محن هذا الابتلاء إنما تتحقق في صبرها، وفي اتقائها الخضوع لما يفرق بينها ويشتت وحدتها. وما يفرق بينها وبشتت الوحدة فيها هو العودة إلى الفرقة في الرأي والابتعاد عن الالتقاء في التفكير.

القرآن حدد الاتجاه ووحد الأمة :

ما يذكره القرآن هنا في أساس وحدة الجماعة من الاشتراك في الاتجاه والاشتراك في النظرة إلى الحياة، وما يذكره أيضاً من أمر ابتلاء الجماعة من عدوها بإثارة شتى عوامل التفرقة بينها، ثم ما يذكره من علاج حاسم للخروج من أزمة هذا الابتلاء وتفويت الأمر على هذا العدو بالصبر وعدم الإذعان لما يأتي به من مظاهر الضغط — ما يذكره القرآن هنا هو السنة الطبيعية في قيام الجماعة أي جماعة وفي محافظتها على وحدتها وتماسكها.

إن القرآن إذ يوصي هنا أصحاب الجماعة الواحدة، التي قامت على الاشتراك في مثل الحياة وأهدافها، من الصبر والتحمل، عندما تمتحن بالأزمات من عدوها. يجيء في آية أخرى ويبين أن هذا الصبر وتحمل الأزمات في سبيل الإبقاء على الوحدة في الجماعة هو هدف رفيع يجب أن يكافح الإنسان في سبيله دائماً، ولا يوازن بينه وبين ما يبتغيه العدو من تفرقة وتشتيت. فسبيل الوحدة هو سبيل الله، وسبيل التفرقة والإيذاء دائماً هو سبيل الشيطان. وما لله أبقى وأقوى، وما للشيطان نهايته الضعف والزوال :

« الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً[2] ».

---

(١) آل عمران : ١٨٦ . (٢) النساء : ٧٦ .

تمسكنا بالمبادىء يكفل انتصارنا

يقول الله تعالى : « الذين آمنُوا وهاجرُوا وجاهدُوا فى سبيـل الله بأموَالهم وأنفسهم أعظمُ درجة عند الله وأُولئك هُم الفائزون [1] » :

هنا يتحدث جل شأنه عن الذين تمسكوا بالمبادىء ، وعن مظاهر احتمالهم فى سبيل تمسكهم بها ، ثم أخيراً عن عاقبة أمرهم وهم لايرضون عنها بديلا . فيذكر المؤمنين — وهم أولئكم الذين صدقوا بالله وبرسالة رسوله ﷺ . وتصديقهم بالله وبرسالة الرسول تصديق بالمبادىء العليا . وهى مبادىء تجعل الإنسان متحرراً من الرق والعبودية لبشر أو لما هو أقل من بشر ، وتجعله مطمئناً للسلام فى نفسه والسلام بينه وبين أخيه فى مجتمعه ، وتجعله — وهو مطمئن للسلام — ذا قوة وذا استعداد لدفع الظلم والعدوان أينما كان مصدره . كما يذكر الله جل شأنه أن آية إيمانهم بهذه المبادىء هى احتمالهم فى سبيلها ، ذلك الاحتمال الذى تجلى إذ ذاك فى تركهم أوطانهم وهم ضعفاء ليعودوا إليها ثانية وهم أقوياء ، وفى جهادهم بأموالهم وأنفسهم ، لايدخرون شيئاً مما يملكون من مال أو طاقة بشرية فى سبيل حرصهم على البقاء فى ظل هذه المبادىء ونصرتها والدفاع عنها .

وبجانب مايذكره القرآن الكريم هنا من الإيمان بالمبادىء ومن احتمال المشق فى سبيلها يذكر أخيراً أن نهاية الأمر بالنسبة لهؤلاء المؤمنين — مهما أوذوا ومهما وقع عليهم من ظلم وعدوان — أنهم فائزون ، لا برضاء الله عليهم فحسب ولا بجزائهم الجزاء الأوفى فى الآخرة فقط ، وإنما أيضاً فائزون فى دنياهم ، فائزون بإنسانيتهم ، فائزون بسيادتهم على أنفسهم وعلى أراضيهم ، فائزون بتحقيق ما اعتقدوا وآمنوا به فى حياتهم العملية .

---

(١) التوبة : ٢٠ .

قد كان ذلك شأن المؤمنين بالمبادى ، شأنهم فى إيمانهم وشأنهم فى احتمال المشاق فى سبيل هذا الإيمان ، وشأنهم فى عاقبة أمرهم من النصر والفوز . وتلك سنة الحياة لاتتغير ولا تتبدل ، ولا تقع فى عصر دون عصر . إذ من شأن الإيمان أن يمنح القوة لمن يؤمن ، فلا يصادف عقبة فى طريقه إلا ويجتازها أو يزيلها . وإذا كان مؤمناً بالمبادىء تضاعفت قوته بالإيمان مرة ، وبالمبادىء مرة أخرى . ولذا لايرى نفسه ولا ماله شيئاً بجانب مايؤمن به من مبادىء ومثل ، ولا يعزعليه إلا أن يرى مبادئه حقيقة واقعة . وتضحيته بنفسه وماله فى سبيل مبادئه آية عندئذ على أن قوة إيمانه قد زادت وتضاعفت فاسترخص نفسه وماله فى سبيل مبادئه . وإذا استرخص الإنسان نفسه وماله فى سبيل إيمانه بالمبادىء فإنه سيفوز حتما بوجوده وبحياته ، ولكن بوجود أكرم وبحياة أعز وأقوى .

تلك سنة الطبيعة كما ذكرنا لاتتخلف . وآية ذلك مرة أخرى ما كان بالأمس القريب فى حياتنا الحاضرة ، يوم أن اعتدى علينا المعتدون الآثمون بما لهم من قوة على الأرض وفى السماء وفوق الماء تفوق مالنا من قوة مادية . وما انتصرنا يومذاك فى مواجهة العدو إلا لأننا آمنا بحقنا فى الحياة وآمنا بسيادتنا على أرضنا ، وآمنا بحريتنا واستقلالنا وتحررنا ، من كل نفوذ أجنبى — وهو إيمان بمبادىء ومثل — وتمثل هذا الإيمان فى نفوسنا ، وأخذ علينا قلوبنا وجوارحنا على السواء ، فأصبحنا قلباً واحداً ويداً واحدة ، واتجهنا جميعاً اتجاهاً واحداً . وهنا تضاعفت قوتنا وزادت ونمت ، لأن مصدرها هو الإيمان ، والإيمان بمبادىء . وبذلك رجحت كفتنا وكان لنا النصر أخيراً . وهو نصر الإيمان بالمبادىء على العدو والقوة المادية التى للعدو ، نصر التضحية فى سبيل تلك المبادى على التسليم والإذعان على نحو ماخيل العدو لنفسه ، استناداً إلى تفوقه فيما يملك من عدد وعتاد .

وإذا كان الإيمان بالمبادىء كفيلا بالنصر للمؤمنين بها أخيراً ، فإننا — لكى

فبقى أقوياء ، وبالتالى أعزاء وأحراراً فى أنفسنا وعلى أرضنا — علينا أن ندرك تماماً أن لمجتمعنا مبادىء ومثلا عليا ، وإنه يجب علينا أن نؤمن بها إيماناً وثيقاً ، آية هذا الإيمان أن نهىء أنفسنا للتضحية فى سبيلها والبذل مما نملك من طاقات مادية وأدبية — علينا أن نتأكد أنه مهما هيّىء لنا من وسائل القوة المادية فلا نستطيع بها وحدها أن نواجه أحداث الحياة ، وخاصة أحداث عدو يتربص بنا ويأتمر علينا . والعدو موجود دائماً ، والتآمر ظاهرة من ظواهر البشرية تختفى حيناً وتظهر أحياناً.

ولكن ليس معنى ذلك أننا نهمل إعدادنا ونتغاضى عن الأخذ بأسباب القوة المادية . وإنما اجتماع الأمرين معاً : القوة المادية والقوة المعنوية بالإيمان بالمبادىء والمثل هو السبيل القويم لحياة إنسانية كريمة ، ولسيادة الإنسان على الأرض التى يعيش فوقها : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .